

برنامج أنوار كاشفة      سلسلة رمز وحقيقة      الحلقة السادسة والعشرون

سفر الأمثال

صديقي المستمع ، مازلنا نتأمل بأحداث وشخصيات العهد القديم من الكتاب المقدس . لنكتشف المزيد من المعاني والرموز التي تشير إلى خطة الله الأزلية لإنقاذ الإنسان ، والتي تشير أيضا إلى المخلص المسيح . وكنا قد بدأنا قبل لقائين بالحديث عن الملك سليمان الحكيم . ودرسنا في الحلقة السابقة عن الهيكل الذي بناه ، والذي حضر فيه مجد الله . وتبين لنا أن الهيكل كان يرمز إلى المخلص المسيح الذي تجلّى فيه مجد الله . واتضح لنا أيضا أن كل ما كان يجري في الهيكل ، لاسيما بالنسبة لتقديم الذبائح ، كان يشير إلى موت المسيح الكفاري وقيامته المجيدة . وأن المؤمنين بالمسيح اليوم هم هيكل الله المقدس . وسيسكن الله معهم إلى الأبد .

أما في لقاء اليوم فسيطور حديثنا حول سفر الأمثال الذي كتبه سليمان الحكيم . وسفر الأمثال هو من أسفار الحكمة في الكتاب المقدس . وهدفه تدريب النفس البشرية على طلب الحكمة الإلهية . وبدء الحكمة كما نقرأ في هذا السفر هي مخافة الرب ، أي التقوى والطاعة له . لهذا تضمن سفر الأمثال الكثير من النصائح العملية ، التي إن سلك فيها الإنسان ، قادتته إلى جادة الصواب والخير ، واختبار الحكمة الحقة . رسالة الله لنا في هذا السفر إذن ، هي أن نبتعد عن الذنوب والآثام ، وأن تسود الحكمة حياتنا . لهذا يتحدث سفر الأمثال بأسلوب أدبي متين ورائع ، عن الحكمة في حياة الإنسان الشخصية . كضرورة الإجتهد ، ومحاربة الكسل والتراخي ، والإبتعاد عن الكبرياء ، والإمتناع عن السكر . وأيضاً يسهب سفر الأمثال ، في الحديث عن الحكمة في الحياة الإجتماعية والزوجية . كأهمية طاعة الوالدين ، وضبط اللسان ، وتجنب الخصام والغضب والخداع والرشوة والغش ، والإمتناع عن الزنى ، وتقديم الإحسان إلى الفقراء ، والأمانة في الحياة الزوجية . ويتطرق أيضا سفر الأمثال إلى الحكمة بالنسبة للملوك والحكام . ويتحدث عن المرأة بشكل عام ، ويشرح صفات المرأة الفاضلة بشكل خاص .

لكن إلى ماذا تشير كلمة الحكمة التي تكلم عنها كثيرا سليمان الحكيم ؟ إنها تشير بالطبع أولا ، إلى الحكمة الصادرة من عند الله ، والتي إن اتخذها الإنسان تصيره حكيما . وهي تشير ثانيا إلى المخلص المسيح الذي تجلّت فيه حكمة الله بأبهى صورها . لهذا كتب الرسول بولس واصفا المخلص المسيح قائلا : " المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم . " ( الرسالة إلى كولوسي ٢: ٣ )

يا له حقا من وصف دقيق ورائع ، إذ بشخص المسيح تكمن كل كنوز الحكمة الإلهية ، والعلم الإلهي الصحيح . فإذا أراد أي إنسان أن يصبح حكيما ، ما عليه إلا أن يلجأ للمخلص المسيح ، الذي هو الحكمة بعينها .

وهي تشير ثالثا إلى حكمة الله التي أعلنت بفداء المسيح . الأمر الذي كشف عنه الرسول بولس ، حين أكد أن صليب المسيح هو حكمة الله المعلنه لنا نحن البشر. (راجع الأصحاح الثاني من الرسالة الأولى إلى كورنثوس) لكن كيف ؟ لأنه بموت المسيح الكفاري على الصليب ، عن ذنوب ومعاصي البشر أجمعين ، ظهرت حكمة الله ، لإنقاذ الإنسان ، بأوضح معانيها . أي أن عمل الفداء كان هو حكمة الله العجيبة المعلنه . وفي المقابل قد يعتبر الكثيرون من حكماء العالم ، كما قال الرسول بولس ، حكمة الله هذه جهالة وضعفا . إذ يتساءلون : أين الحكمة في أن ينقذنا الله عن طريق صلب يسوع المسيح وعمل الفداء ؟ أو ليس هذا ضعفا ؟ لكن أولئك الحكماء يتجاهلون ، أنه بصلب المسيح دان الله الخطية ، التي هي أساس شقاء الإنسان وعذابه . وفي نفس الوقت أظهر الله محبته العظمى نحونا ، إذ فتح الطريق أمامنا لكي ننال الغفران والخلود . وهكذا أصبحت رسالة الصليب هي حكمة الله ، وقوة الله لكل من يؤمن . وصار المخلص المسيح هو حكمة الله ، التي يحصل عليها كل من اختبر فداء المسيح لذنوبه . أولا تود مستمعي أن تحصل على حكمة الله ؟

ننتقل الآن مستمعي الكريم إلى مقارنة أخرى رائعة . إن كلمة الحكمة في سفر الأمثال ، تقابلها لفظة الكلمة الأزلي في الإنجيل بحسب بشارة يوحنا . وإن مقارنة بسيطة وسريعة بينهما ، تجعلنا نكتشف التطابق بينهما . إن الحكمة والكلمة الأزلي يحملان نفس الصفات ، ويقومان بنفس الأعمال . لابل إن علاقتهما واحدة مع الله الخالق العظيم . فلسان حال الحكمة بحسب تعبير سفر الأمثال ، الأصحاح الثامن ، (الأعداد ٢٢ و ٢٩ ، ٢٧ ، ٢٣ و ٣٠) " الرب قناني أول طريقه من قبل أعماله منذ القدم . منذ الأزل مُسحت منذ البدء منذ أوائل الأرض .. لما ثبتت السموات كنت هناك أنا . لما رسم دائرة على وجه الغمر . لما رسم أسس الأرض كنت عنده صانعا . " أما عن الكلمة الأزلي فتقول بشارة يوحنا : " في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله . هذا كان في البدء عند الله . كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان . فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس . " ( بشارة يوحنا ١ : ١-٤ )

إن علاقة الحكمة بالله إذن ، هي علاقة إتحاد كامل ، فهي موجودة معه منذ الأزل ، كما سمعنا . وبواسطتها خلق الله الأكوان بكل ما فيها ، إذ تقول الحكمة : وكنت عنده صانعا . وكذلك الكلمة الأزلي ، فهو متحد مع الله منذ الأزل ، وخلق الله العوالم بواسطته . وكما حدثنا عنه الرسول بولس فيما بعد : " أنه صورة الله غير المنظور ، بكر كل خليقة . فاته فيه خلق الكل ما في السموات وما على الأرض .. " (الرسالة إلى كولوسي ١ : ١٥ و ١٦ أ) وبتعبير أوضح إن الحكمة التي أسهب سفر الأمثال بالحديث

عنها ، هي نفسها الكلمة الأزلي الذي تجسد وصار إنسانا ، في شخص المخلص المسيح . وكنا لاحظنا قبل قليل أن الحكمة تشير إلى المخلص المسيح .

ولقد كشف لنا البشير يوحنا عن تجسد الكلمة الأزلي ، عندما كتب قائلا : " والكلمة صار جسدا وحل بيننا ورأينا مجده مجدا كما لوحد من الآب مملؤا نعمة وحقا." (بشارة يوحنا ١:١٤) أي أن المسيح هو كلمة الله الأزلي المتجسد . لقد تساءل سفر الأمثال قائلا : "من صعد إلى السموات ومن نزل ؟ من جمع الريح في حفنتيه . من صر المياه في ثوب . من ثبت جميع أطراف الأرض . ما اسمه وما اسم ابنه إن عرفت . " ( أمثال ٣٠:٤ ) إن الكلمة الأزلي المتجسد المخلص المسيح ، هو نفسه الإبن . ولقد أطلق المسيح على نفسه تعبير " ابن الله " لكي يقرب إلى ذهننا البشري المحدود ، مفهوم علاقته الجوهرية ، أو إتحاده الكامل ، مع الله الآب منذ الأزل . من الواضح إذن ، أنه عندما يتحدث سفر الأمثال عن الإبن، فإنما يقصد الحكمة أو الكلمة الأزلي . إذ كلها تعابير ، كما لاحظنا ، تشير إلى شخص واحد ، هو المخلص يسوع المسيح .

أطلقت الحكمة صوتها في سفر الأمثال داعية الناس أن يبحثوا عنها ، كما يسعون وراء الفضة ، ويجدون لإكتشاف الكنوز الثمينة . ووعدهم بالراحة وبالخيرات الوفيرة ، والحياة الفضلى ، إن هم وجدوها وتمسكوا بها . (راجع سفر الأمثال ٢:١-٩) أليس هذا بعينه ما دعا إليه المخلص المسيح ، الكلمة الأزلي المتجسد ؟ فما هو يقول : " تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم . إحملوا نيري عليكم وتعلموا مني . لأني وديع ومتواضع القلب . فتجدوا راحة لنفوسكم . لأن نيري هين وحملتي خفيف . " ( مت ١١:٢٨-٣٠ ) أجل صديقي المستمع ، لقد وعد المخلص المسيح ، كل متعب بخطاياها يأتي إليه تائباً ومؤمناً، وعده بالراحة الحقّة . وأيضا وعده بالحياة الفضلى هنا على الأرض ، وثم بالحياة الأبدية في السماء.

مستمعي العزيز ، لقد تنازلت الحكمة إلى عالمنا ، إذ هي نفسها الكلمة الأزلي ، المخلص المسيح ، الذي قام بعمل الفداء المجيد . وهكذا صار سهلا عليك أن تقبل إلى الحكمة وتتمسك بها . هل ترغب صديقي أن تصبح حكيما ؟ تعال إذن وآمن بالحكمة ، بالكلمة الأزلي ، بالمخلص المسيح وعمله الكفاري من أجلك على الصليب . وعندها تنال الحكمة الإلهية الحقّة ، وتحظى بكل بركات الحكمة وفضائلها العظمى . وتصبح إنسانا جديدا . فهل تراك تؤمن ؟